

كلمة التحرير:

"هل نحن نعيش في هذه الأيام عصرا مستنيرا؟"

الجواب: كلا، إنما في عصر التنوير."

إيمانويل كانط

يبدو تمييز كانط بين "عصر مستنير" و"عصر تنوير" مهمًا للغاية، إذ هو يرسم، من جهة، حدًا فاصلا بين المسار والغاية، ويكشف، من جهة أخرى، أن التنوير رحلة طويلة، وعملية تراكمية تخوضها الشعوب المتوتبة ونخبها الطليعية. وتعمل على جهتين: تصفية الحساب مع اللأمعقول الموروث وما يمثله من عوائق في وجه التقدم، والانفتاح على مكتسبات العالم الحديث الفكرية والفلسفية والعلمية والتكنولوجية، والانخراط في العصر من حيث خروجه التدريجي من كل الأوهام والأساطير والتفكير الخرافي غير العلمي، ومن جميع الممارسات والعادات والمعتقدات التي تجافي العقل، ونبذ التسليم والدغمائية والإطلاقية واعتناق النسبية البشرية التي هي ثمرة توسل روح النقد. تلك الروح التي لا ينبغي أن تتوقف أمام المعطيات السياسية مثلا، مثلما أنه يجب ألا تتردد في نقد الدغمائيات الدينية المعطلة للعقل. ذلك أن الفكر الحديث نقدي أو لا يكون بحسب عبارة المفكر المغربي عبد الله العروي.

وتعدّ مجلة "نقد وتنوير" نفسها لبنة في صرح الفكر التنويري العربي الذي تراكب لبناته ويعلو بنيانه يوما بعد يوم، بفضل تضافر جهود مراكز بحث وجامعات ودوريات أكاديمية وكتب جادة... يقوم عليها بحاثة قد لا يعرف بعضهم بعضا ولا فكروا في التنسيق بين جهودهم، ولكن تلك الجهود التنويرية جميعا تصب في نهر الثقافة العربية الجديدة الصاعدة التي تحاول الانبثاق واحتلال مكان الثقافة التقليدية.

وهكذا، فإن العدد الثالث عشر من مجلة "نقد وتنوير" أيضا لم يجد عن هذا النهج، شأنه شأن جميع الأعداد السابقة. فأتسم بالتنوع والثراء، والتقت فيه أسئلة ومقاربات ومناهج مختلفة، واختصاصات تبدو للوهلة الأولى متباعدة، وتعاضدت في تأيئته جهود باحثين متنوعي الاختصاصات والشواغل.

وقوام هذا العدد سبع عشرة مبحثا، توزعت من حيث النوع إلى بحوث ودراسات، وإلى مقالات وترجمات وتقديم أحد الكتب المهمة، وحضر فيها مقالان أحدهما باللغة الفرنسية وآخر باللغة الإنجليزية.

تم استهلال العدد بمقال حول: "الجوع إلى التقدير" وهو مقال طريف في بابه، يبين فيه صاحبه، من منظور نفسي واجتماعي، حاجة الفرد إلى التقدير من أجل شحن همته صوب مزيد البذل والعطاء، وعرج على ما يعترى الواقع العربي من تلاعب بهذه الحاجة من أجل الترويض والإخضاع أو شراء الذمم الخ... مقترحا طريقا بديلا مقاوما يتوجه به إلى المثقفين خاصة.

وفي باب التّقد الأدبي مقالان: "الإستدلالُ التّمثيليُّ في الشّعْر العَرَبِيّ القديم و"الحطيئة: الأهي، الأصدق! نحو تحليل ثقافي للخطاب الشعري العربيّ" حاول الباحث في الأوّل بيان إمكانية تعالق الاستدلالات المنطقية والشّعْر على تباعهما الظّاهري، بعد ما بين العقل والوجدان، وانصرف الثّاني إلى إثبات شعريّة الحطيئة متوسّلاً "التّحليل الثقافي" عبر جملة من الآليات، ويتغيّب الباحث من وراء ذلك، كما يقول، مراجعة عدد من البديهيّات والأحكام تعلّقت بالحطيئة وشعره.

وفي مجال التّربية وقضاياها تضمّن العدد ثلاث مقالات: اثنان باللّغة العربيّة، وواحد باللّغة الإنجليزيّة. توسّل الباحثون فيها آليات ومناهج وأساليب قياس متنوّعة تقصّدوا في الأوّل منها عقلنة العمليّة التربويّة من خلال البحث في "درجة ممارسة الإبداع الإداري لدى مديري المدارس في لواء الطيبة والوسطيّة من وجهة نظر المعلّمين"، ورمّوا من وراء الثّاني إلى الفحص عن أهميّة إعداد المعلّمين إعداداً جيّداً يرتقي بالعمليّة التّعليميّة ويزيدها جودة من خلال البحث في "دور استراتيجيّات التّدرّس الإبداعيّة في تنمية مهارات المعلّمين في قسبة إربد". أمّا الثّالث: "تصورات الطّلاب عن التّعليم عن بعد خلال جائحة Covid-19 في تونس (بالإنجليزيّة)"، فيفحص عن تصوّرات طلّاب الجامعات التونسيّة حول استخدام أدوات وتقنيات التّعلّم عن بعد وأدواته خلال انتشار جائحة كورونا في الفترة المتراوحة بين شهري أبريل ومايو سنة 2021، وقد استند الباحث في هذه الدّراسة إلى تجربته الخاصّة مع طلبته، معتمداً بعض المتغيّرات مثل المستوى التّعليمي، والاختصاص ومكان إقامة الطّلبة، مؤكّداً أنّ درسته الميدانيّة هذه قد أفصحت عن عدم تكافؤ الفرص بين الطّلبة.

وللفلسفة في هذا العدد نصيب، من خلال مقالين، أحدهما باللّغة العربيّة، والثّاني باللّغة الفرنسيّة. أمّا الأوّل فقد وسمه صاحبه بـ "التأسيس الفلسفي لأخلاق البيئّة عند الفيلسوف الألماني هانس يوناكس"، وفيه طرح الباحث بعض الهواجس الموصولة بمبدأ المسؤوليّة في علاقتها بالفعل الأخلاقيّ، وأسس الأخلاق عامّة، ومنها على وجه الخصوص الأخلاق البيئيّة، بالاستناد إلى أطروحات الفيلسوف الألماني هانس يوناكس. أمّا الثّاني: "العمل الفني اليوم: كانط والفن الحيوي"، فطرح على بساط البحث إشكالية غموض العمل الفني المعاصر وطبيعته وتصميمه. وهو ما يقتضي، وفق الباحثة، العودة إلى الأساس الفلسفي، والبحث عن معيار نظري يستند إلى رؤية الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط من أجل رسم الحدود ووضع الأسس تجنّباً للإفراط الفني والمفاهيمي.

وحظيت الدّراسات الحضاريّة بمقالين، اهتمّ أحدهما (السّير المتجاورة: قراءة في جواريّة سيرة عمر بن الخطّاب) بالحضارة العربيّة القديمة، وفيه نظر الباحث في سيرة عمر بن الخطّاب وعلاقتها بسيرتي أبي بكر وعليّ للوقوف على ما بين السّير الثّلاث من تشابه أو اختلاف، معرّجاً على دور الصّراع الطائفي في رسم ملامح تلك السّير. وقد تغيّب الباحث من وراء هذا البحث تفكيك الصّور المألوفة التي قدّمها المصادر الإسلاميّة القديمة، وبيان العوامل الفاعلة في رسم تلك الصّور التّمطيّة. أمّا المقال الثّاني فينتسب إلى الدّراسات الحضاريّة الحديثة: (التبعية الثقافية ورضوخ الناقد العربي لها)، وكان محور هذا المقال هو التبعية بوصفها إشكالية نقدية ما بعد حداثة، وقد استندت الباحثة إلى مثالين، هما: كتابان لناقدين شهيرين: عبد الفتاح

كيليطو وعبد الله الغدامي. وكانت الغاية هي التعرف إلى الوسائل التي اعتمدها كلّ منهما لمواجهة التبعية، والإجابة على سؤال رئيس هو: لماذا فشل كلّ منهما على اختلاف مسلكيهما.

ويندرج المقال الأخير: "معالجة المستوى التركيبي-دلالي للغة بين المقاربة الإحصائية والمقاربة المبنية على نظام القواعد" ضمن الدراسات اللسانية الحديثة، إذ تعلق بالمقاربة الإحصائية للغة التي تبدو في تناقض مع مبدأ قيام فهم النصّ على "تمثيله تركيبيا ودلالياً بتصريح كامل للقواعد بمثابة شرط أساسي لتحقيق الترجمة الآلية". وتنبئ إشكالية المقال على سؤال مركزي صاغه الباحث كالاتي: "لماذا حققت المقاربة الإحصائية فعالية مقبولة بناء على نصوص غير خاضعة لانتقاء مُسبق مقارنة بمقاربة القواعد التي يتمّ الاشتغال على تعييدها بواسطة عدد كبير من اللسانيين لمدة سنوات عديدة؟".

وللقراء أن يكتشفوا عمليين مترجمين أحدهما تربوي: "تفكيك تأثير العمليات الذهنية على الأداء الأكاديمي"، وفيه سعيّ إلى استكشاف العلاقات بين الأداء الأكاديمي والمعرفة، من سن 9 إلى 15 عامًا. والثاني فلسفيّ: "تكنولوجيا التناسل" مقتطف من كتاب الفيلسوف الأمريكي المعاصر توماس وول. وقد عالج فيه سبع قضايا أخلاقية وفق منهج يجمع بين النظري والتطبيقي، وبين الأخلاق المعيارية والأخلاق الوصفية.

ونختم بالكتاب المقدم في هذا العدد الثالث عشر. وهو: "كتاب: مقالات في التاريخ والسياسة لإيمانويل كانط"، وهو عبارة عن مجموعة من النصوص المهمة للفيلسوف الألماني كانط، جمعها الباحث التونسي فتحي إنقزو، وقام بترجمتها. وفي هذا التقديم تركيزٌ على بعض الإشكاليات الموصولة بالتاريخ: هل له معنى؟ وهل سيرورة الكائنات البشرية اعتبارية؟ مثلما طرحت في هذا الكتاب أسئلة كثيرة من قبيل: ماهو التنوير؟ وما مفهوم العرق البشري؟ وما المشروع الدائم السلام؟ الخ...

نرجو أن يكون هذا العدد في مستوى انتظارات القراء الكرام، وفي مستوى متانة ما اعتادوا عليه وعمق ما ألقوه من مقالات مجلة نقد وتنوير. ولا يسعنا، في خاتمة هذه الكلمة، إلا أن نشكر كلّ من ساهم في هذا العدد وأثنه من باحثين ومدققين لغويين ومحكمين.

مدير التحرير: د. امبارك حامدي